الممارســـــة العرجـــاء

لقد نص الدستور اللبناني المستوحىمن دستور الجمهورية الفرنسية الثالثة (١٨٧٥) على عدم مسؤولية رئيـــس الجمهورية الا عند خرقه الدستور او في حال الخيانة العظمى (المـادة ٦٠) ،و « مقررات رئيس الجمهورية يجـب ان يشترك معه في التوقـــيع عليهاالوزير او الوزراء المختصون ما خـلا تولية الوزراء واقالتهم قانونا » (المادة٥٤) .

فمسؤولية رئيس الجمهورية محدودةبحالتين اثنتين فقط ، واما مسؤولية الوزراء فغير محدودة . فكيف يتحمـل المسؤولية من لا يمارسها ؟ وكيف ينجو من عواقبها من يقررها ؟

ان مونتسكيو في كتابـــه « روح الشرائع » لم يقر مبدأ توزيع السلطات الا حفاظا على الحرية ومنعا للاستبدادوالطغيان . ولكن مبدأ توزيع السلطات يختلف اختلافا بينا تبعا لنوع نظام الحكموشكل الدستور في كل بلد . ففي نظام تسلط التشريعية كسويسرا مثلا ، تعتبرالسلطة التشريعية المنتخبة من قبـــل الشعب وحدها ممثلة للسيادة الشعبية،وجمعية مجلسي التشريع الاتحاديينهي التي تعين مجلس الاتحاد المؤلف مـــن سبعة اعضاء لمدة اربع سنوات .هؤلاء الاعضاء يقومون باعبـــــاء الوزراءوينتخبون من بينهم كل سنة رئيســـــا للاتحاد السويسري . ولقد اتبعـــتفرنسا هذه الطريقة في دستور عامـــي ١٧٩٢ و ١٨٤٨ . اما مبدأ توزيـــع السلطات بصورة مطلقةفهو متبـــع في النظام الرئاسي . ففي الدستـــــورالاميركي مثلا ، توزع السلطات بصورة حاسمة بين حكومة الولايات ، ومن ثمتتوزع في كل من هذه الحكومـــات بين فئات ثلاث : التشريعية والقضائيـــــةوالتنفيذية . والسلطة التشريعية تتركز بالكونغرس المؤلـــف مـــــن مجلسي الشيوخ والنواب . فالوزراء لا يحق لهم ان يكونوا اعضاء في اي منهـــــما ولايمكنهم ان يحضروا مناقشاتهمـــا . ولا يجوز لرئيس الجمهورية حق اقتراح اي قانون الا قانون الموازنة (منـــذ عام ١٩١١) . اما السلطـــــة التنفيـــذيةفمستقلة تماما عن السلطة التشريعية. ويرأسها رئيس الجمهورية المنتخب من الشعب . وهو الذي يعـــين الوزراء ويقيلـــهم وهـــم مسؤولون امامـــهفقط لا امام الكونغرس . وتأتي اخيرا السلطة القضائية وهي مستقلة تمامـــاعن شقيقتيها . وهي حامية الدستور، اذ باستطاعتها رفض تطبيق كل قانونيخالف نصوص الدستور ، ولقد حصل ذلك مرارا في التاريخ الاميركي .

ولا يخطرن ببال احـــد ان تلـــك السلطات الثلاث في النظام الرئاســـي الاميركي لا تتلاقى ابدا ، بل هي تتحرك باتجاه متناسق متناغم لا يسمع فيـــه صوت نشاز الا نادرا . فالكونغرس مثلا يعين لجانا دائمة تمثل حلقة الاتصال مع الوزراء . ومجلس الشيوخ هو الـــذي يوافق على تعيين السفراء وقضـــاة المحكمة العليا وكبار موظفي الدولة .ومن الضروري موافقة ثلثي اعضائه على المعاهدات لكي تصبح نافذة المفعول. وليس الرئيس الاميركي « القيصر » الحاكم بامره كما يتخيله البعـــض .فالكونغرس يراقبه ليل نهار . ولقـــد صفع عهد نيكسون في شهوره الاولى صفعة مدوية على اثر رفضه تعيين